﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ [يوسف: 5]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبةُ بين قصِّ الرُّؤيا، ووصيَّةِ يعقوبَ لابنِه يوسفَ آنئذٍ

لَمّا قصّ يوسُفُ رُؤياه على أبيه، وعَلِمَ أبوه أنّ هذه رُؤيا إلهام لا أضغاثَ أحلامٍ تثيرُها في النّوم الهواجسُ والأفكارُ، وأنّ يوسُفَ سيكونُ له شأنٌ عظيمٌ وسلطانٌ يسودُ به أهلَه حتّى أباه وأمَّه وإخوتَه، وخافَ أنْ يسمع إخوتُه ما سمِعَه، ويَفهموا ما فهمَه، فيَحسدوه ويَكيدوا لإهلاكِه، نهاه أنْ يقصَّ عليهم رُؤياه، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَٰبُنَيَّ﴾: أصلُ مادّته من (بنو) وهو الشّيءُ يَتولّدُ عنِ الشّيءِ، كابن الإنسانِ وغيرِه[2]، أو منَ (البَنْي) الذي هو نقيضُ الهَدْم، ومنه (الابنُ) أي الولدُ، فالابنُ أصلُه (بَنَيٌ) أو (بَنَوٌ)، والمصدر (البُنُوَّةُ)[3]، وفي التَّصغير (بُنَيّ)، وسمّاه بذلك؛ لكونِه بناءً للأب، فإنّ الأبَ هو الذي بناهُ وجعلَه اللّه بناءً في إيجاده[4].

2) ﴿رُءۡيَاكَ﴾: الرّاءُ والهمزةُ والياءُ أصلٌ يدلُّ على نظرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرةٍ[5]، والرُّؤيةُ بالضمّ: إدراكُ المَرئيّ، وذلك أضربٌ؛ الأولُ: النّظرُ بالعين التي هي الحاسّة وما يَجري مجْراها، والثّاني: بالوهمِ والتّخيّل، والثّالث: بالتّفكّر، والرّابع: بالقلب، أي بالعقل[6]،

(1) المراغي، تفسير المراغي: 12/114.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بنو).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (بنى).
(4) الرّاغب، المفردات: (بنى).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رأى).
(6) الرّاغب، المفردات: (رأى).

والرُّؤْيَةُ بالعين يتعدّى إلى مفعولٍ واحدٍ، وبمعنى العلم يتعدّى إلى مفعولَين[1]، والرّؤيا: ما رأيتَهُ في منامك، تقول: رأيتُ رؤيا حسنةً، ولا تُجمعُ الرّؤيا[2]، وهذا المعنى الأخيرُ هو المرادُ في الآية، ﴿رُءْيَاكَ﴾ أي: ما رأيتَه في منامك[3].

3) ﴿فَيَكِيدُواْ﴾: أصلُ (كيد) يدلُّ على معالجةٍ لِشَيءٍ بِشِدَّةٍ، ثم يُسمّون المكرَ كيدًا[4]، والكيدُ منَ المكيدة: وهو الاحتيالُ والاجتهادُ فيما يقصدهُ الإنسانُ، وغلبَ في المكر[5]، وهو أيضًا: الخبثُ، والمَضرّةُ، والتّدبيرُ المُحكمُ الشّديدُ وتنفيذُه[6]، وقد يكونُ مَذمومًا وممدوحًا، وإنْ كان يُستعمَلُ في المذموم أكثَرَ[7].

والمرادُ هنا: فيَبْغوك الغوائلَ، ويُناصِبوك العداوةَ[8]، ويُدبّروا لكَ مكيدةً[9]، ويَحْتالوا في إهلاكِك[10].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إرشـادُ يعقوبَ يوسفَ بكتمانِ رُؤياهُ؛ حمايةً له من إخوتِه

قال يعقوبُ لابنه يوسُف: يا بُنَيَّ لا تَقصُصْ هذه الرُّؤيا على إخوتِك، فيَحسُدوك، ويبغُوكَ الغوائلَ، ويُناصبوك العداوةَ، ويُطيعوا فيك الشَّيطانَ، إنَّ الشَّيطانَ لآدمَ وذريّتِه عدوٌّ ظاهِرُ العَداوةِ، يَحمِلُهم على الحسَدِ والكَيد، فاحذرِ الشَّيطانَ أنْ يُغريَ إخوتَك بك بالحسدِ منهم لك، إنْ أنتَ قصصتَ عليهم رؤياك[11].

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (رأي).
(2) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (رأي).
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/125، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3799.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كيد).
(5) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (كيد).
(6) الزّبيديّ، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (كيد).
(7) الرّاغب، المفردات: (كيد).
(8) ابن جرير، جامع البيان: 15/558.
(9) دروزة، التّفسير الحديث: 4/10.
(10) البغويّ، معالم التّنزيل: 2/475.
(11) ابن جرير، جامع البيان: 15/558.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ الفصْلِ في: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾:

فَصلَ البيانُ القرآنيُّ جملةَ ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ﴾ عنِ التي قبْلَها ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ﴾ [يوسف: 4]؛ لأحد أمرَين:

حوارٌ قرآنيٌّ جاءَ فيهِ قولُ يعقوبَ جوابًا على قولِ يوسُفَ

الأوّلُ: لكونِها على طريقةِ المُحاوَراتِ، أي إنَّ قولَ يعقوبَ يا بُنَيَّ جوابٌ على قولِ يوسُفَ ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ [يوسف: 4]، أيْ فَصلَ الجوابَ، ولم يعطفْ بالفاءِ أوِ الواو جرْيًا به على طريقةٍ متّبعةٍ في القرآنِ في حكايةِ المُحاورات، وهي طريقةٌ عربيّةٌ، وإنّما حذَفوا العاطفَ في أمثالِهِ كراهيةَ تكريرِ العاطفِ بتكريرِ أفعالِ القولِ، فإنّ المحاورةَ تقتضي الإعادةَ في الغالبِ فَطَرَدوا البابَ فحذَفوا العاطِفَ في الجميعِ، وهو كثيرٌ في التّنزيل[1].

الثّاني: لوقوعِها استئنافًا بيانيًّا، لِما بين الجُملتَين من شبهِ كمالِ الاتّصال؛ وذلك بعد أنْ قال يوسفُ لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ [يوسف: 4] كأنّ سائلا سأل: فماذا قال يعقوبُ بعد سماع هذه الرّؤيا العجيبةِ؟ فجاء الجوابُ في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ﴾[2].

بَلاغةُ النّداء مع حضورِ المُخاطَبِ في: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾:

في النّداء بـ(يا) استحضارٌ للاهتمامِ، وتنبيهٌ على خطورةِ الغرَضِ المُخاطَبِ به

قولُه تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾، نجدُ أنّ البيانَ القرآنيَّ استعملَ صيغةَ النّداء (يا) التي تُستعملُ لمناداة البعيدِ مع كوْنِ المخاطَب يوسفَ عليه السلام حاضرًا؛ طلبًا لإحضارِ الذِّهن، واهتمامًا بالغَرَضِ المُخاطَبِ فيه[3].

فائدةُ تصغيرِ (بُنَيَّ)، وإضافتِه في السّياقِ:

(بُنَيَّ) تَصغيرُ (ابنٍ)، والتّصغيرُ في قولِ يعقوبَ ليوسفَ عليه السلام:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/401.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/252، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 10/17.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/212.

﴿يَٰبُنَيَّ﴾ كنايةٌ عن تَحبيبٍ وشفَقَةٍ وتحنينٍ وقُربٍ منَ القلب؛ إذ نَزَّلَ الكَبيرَ منزلةَ الصَّغيرِ؛ لأنَّ شَأنَ الصَّغيرِ أنْ يُحَبَّ وَيُشفَقَ عَليهِ، وفِي ذلك كِنايةٌ عن إمحاضِ نُصْحِ يعقوبَ ليوسفَ عليهما السلام[1]، ويرى بعضُ المفسّرين أنّ ذلك لصغرِ سنّ يوسفَ عند ذلك، ولِعذوبَةِ المصَغَّرِ في النُّطق[2].

فـي خـطـابِ التَّحبُّبِ والتّحنُّنِ رِقَّـةٌ وعُـذوبَـةٌ، وتـأكـيـدٌ على إمحـاضِ نُصْحِ يعقوبَ ليوسفَ

كما أنّ في هذا التّعبير بالتّصغير الّذي يفيدُ التّحبّبَ والقُربَ مناسبةً لقولِ الفرعِ لأصلِه في الآية التي قبلها ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ﴾ [يوسف: 4]؛ إذ عبّر بـ ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ [يوسف: 4] التي عُوِّضَ فيها عنِ الياء (أبي) بالتّاء (أبتِ) وهو "خطابُ التّحبّب"[3]، قال أبو حيّانَ: "ولَمَّا خاطب يوسفُ أباه بقوله: يا أبتِ، وفيه إظهارُ الطَّواعيةِ والبِرِّ والتَّنبيهِ على محلّ الشَّفقة بِطَبْعِ الأبوَّةِ خاطبَه أبوهُ بقولِه: يا بنيّ، تَصغيرُ التَّحْبيبِ والتَّقريبِ وَالشَّفَقَة"[4]. وفي هذا التّعبير إيماءٌ أنّ على الإنسان ألّا يَستنصحَ إلَّا مَنْ يصدُقُه ويحبُّ له الخير. وأمّا فائدةُ إضافتِه إلى نفسِه فللغرضِ نفسِه منَ التّحبّب والشّفقة[5].

دَلالةُ النّهي في: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾:

نـصـحٌ وإرشـادٌ بِكِتمانِ نعمةِ الـرّؤيـا، وألّا تُـقـصَّ إلّا على شَفيقٍ ناصِحٍ

دلالةُ النّهي في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾ أمران؛ **الأوّلُ**: النُّصحُ والإرشادُ؛ لأنّ النّهيَ فيها يتضمّنُ النّصحَ والإرشادَ من غيرِ إجبارٍ ولا إلزامٍ، **والثّاني**: التّحذيرُ ببيانِ العاقبةِ؛ لأنّ مقصودَ النّهي تحذيرٌ بتوضيح المصيرِ، وبيانِ العاقبة، وهو الكيدُ ليوسفَ من قِبَلِ إخوتِه.

والمرادُ أنّ يعقوبَ أراد بنهْيِه يوسفَ عن أنْ يحدّث إخوتَه، بما رآه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/212.
(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/147.
(3) السّيوطيّ، معترك الأقران: 1/178.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/238.
(5) الشّوابكة، غرر البيان من سورة يوسف في القرآن، ص: 28.

النّصحَ والإرشادَ معلِّلًا هذا النّصحَ ببيانِ العاقبة، وذلك لأنّ يعقوبَ علِمَ أنّ إخوةَ يوسفَ العشرةَ كانوا يَغارونَ منه، وعلِمَ أنّهم يُعَبِّرُونَ الرّؤيا إجمالًا وتفصيلًا، وعلِمَ أنَّ تلك الرُّؤيا تُؤْذِنُ بِرِفعَةٍ يَنالُها يوسفُ على إخوته، فخَشِيَ إنْ قَصَّها عليهم أنْ تشتدَّ بهم الغيرةُ إلى حدّ الحسدِ والكيدِ له لِيَسْلموا مِن تفَوُّقِه عليهم وفضلِهِ فِيهِم[1]. ويدلُّ هذا النّهيُّ على الأمرِ بكتمانِ النِّعمةِ حتى تُوجدَ وتظهرَ[2]، وجوازِ تَركِ إظهارِها لِمَن يُخشَى منه حَسَدٌ ومَكرٌ[3]، وأنَّ الرُّؤيا لا تُقَصُّ على غيرِ شَفيقٍ ولا ناصِحٍ، ولا على امرئٍ لا يُحسِنُ التَّأويلَ فيها[4]، قال ﷺ: «لا تقصّ الرّؤيا إلّا على عالمٍ أو ناصحٍ»[5].

ذِكرُ قصِّ الرّؤيا، وعلاقتُه بمطلعِ السّورة:

عبَّرَ البيانُ الإلهيُّ بقصِّ الرّؤيا ﴿لَا تَقْصُصْ﴾، ولم يقلْ: (لا تحكِ)؛ للإشارةِ إلى تأكيدِ يعقوبَ عدمَ إخبارِ يوسفَ إخوتَه بأيّ شيءٍ ممّا رآه جملةً وتفصيلًا؛ لأنّ القافَ والصّادَ أصلٌ صحيحٌ يدلّ على تتبّعِ الشّيء، من ذلك قولُهم: اقْتَصَصتُ الأثر، إذا تتبّعْتُه[6]، والقَاصُّ: من يأتي بالقصّةِ على وجهِها، كأنّه يتتبّعُ معانِيَها وألفاظَها[7].

مـــن بـــلاغـــةِ القرآنِ، التّعبيرُ بالأنْسبِ لفظًا ومعْنًى

ولكونِ مُفردةِ (القصّ) أنسبَ مع الرّؤيا من مُفردة (الحكي)؛ لأنّ الرّؤيا في حقيقتِها عبارةٌ عن رموزٍ واضحةٍ رُؤيتْ حقيقةً، وتحتاجُ أنْ تُذكرَ متتاليةً متتابعةً كما حدثت، أي تحتاجُ إلى دقّةٍ في الإخبارِ بها، والقصُّ يتميّزُ بمعنى التّتبّعِ، فالذي يقصُّ القصّةَ يتتبّعُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/214.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/371.
(3) السّيوطي، الإكليل في استنباط، ص: 153.
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/126، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 11/17.
(5) سنن التّرمذيّ، باب في تأويل الرّؤيا ما يستحبُّ منها وما يكره، حديث رقم: (2280)، وقال: حديث حسن صحيح.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قص).
(7) الزّبيديّ، تاج العروس، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قصص).

أحداثَها المتتاليةَ وألفاظَها ومعانيَها؛ ليروِيَها متتاليةً متتابعةً كما حدثتْ، وهو تتبّعُ الخبرِ والإتيانُ به على وجهه، بخلاف (الحكي) بمعنى المُحاكاة أي المُشابهة، فالذي يحكي الخبرَ يحرصُ أنْ يأتيَ به على وجهٍ يُشابهُه في صورتِه الأولى، يُقال: حَكَيْتُ فِعْلَهُ وحاكَيْتُهُ إذا فعلتَ مثلَ فعلِه وهيئتِه، والحِكايةُ: ما يُحكى ويُقصّ وقعَ أو تُخيِّل[1].

ومن ثَمَّ: يكونُ في التّعبير بمفردةِ القصِّ دونَ الحكي إشارةٌ إلى عِظَمِ هذه القِصّة، وأنّه لا يوجد خبرٌ وكلامٌ يُشبهُها؛ فهي رؤيا عظيمةٌ مِنَ اللّه سُبحانه تحملُ بشاراتٍ عظيمةً.

وللمعنى ذاتِه "لا يُقال كلامُ اللّه محكي، ولا يُقال أيضًا: حكى اللّه كذا، إذ ليس لكلامه مثلٌ"[2]، ولهذا أسندَ سُبحانه القصّ إلى ذاتِه فقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ﴾ [يوسف: 3]، ولم يقل: (نحكي).

وبهذا يظهرُ التّرابطُ بين قولِه تعالى: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ وقولِه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: 3]، إضافةً إلى ما بين الآيتين من تَكرارٍ صوتيٍّ يثيرُ جوًّا نغميّا يُعمِّقُ المعنى، ويساعدُ في إبرازه؛ إذ إنّ تَكرارَ هذه الأصوات؛ القاف والصّاد في ﴿نَقُصُّ﴾ و ﴿ٱلْقَصَصِ﴾ و﴿لَا تَقْصُصْ﴾ أبرزت حقِّيّةَ هذه القصّةِ العجيبةِ، وأنّها ليستْ أضغاثَ أحلامٍ.

الدّلالةُ الصّوتيّةُ في فكّ الإدغامِ في: ﴿لَا تَقْصُصْ﴾:

فُكَّ الصّادان في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْصُصْ﴾، ولم يُدغما، أي لم يقلْ: (لا تقصّ)؛ لأنَّه وقعَ مجزومًا، فجازَ فيه الفكُّ والإدغامُ، والفكُّ أشهرُ وأكثرُ في القرآنِ، وهو لغةُ أهلِ الحجاز.

وكلٌّ منَ الفكّ والإدغامُ له دلالةٌ خاصَّةٌ؛ أمّا الإدغامُ فهو يعني الخفاءَ والمُساترةَ والإضمارَ، وأمّا الفكُّ فهو يعني الجلاءَ والمجاهرةَ

إرشـادُ يعقوبَ ليوسفَ، بشأنِ رُؤيـاه، إرشـادٌ جليٌّ هادئٌ، من أبٍ شَفوقٍ

(1) الجوهريّ، الصّحاح، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: (حكى).
(2) الكفويّ، الكليّات، ص: 409.

والإظهارَ، وهو أنسبُ هنا مع السّياق الذي يقومُ على إجلاءِ وإظهارِ النُّصح بنهيٍ صريحٍ واضحٍ ﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾ مع تعليلٍ لهذا النّهي، وتأكيدٍ لخطورته فهو كيدٌ يحرّكُه الشّيطانُ ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾.

كما أنَّ الفكّ أنسبُ مع المقام الذي هو نصحٌ هادئٌ من أبٍ محبٍّ عطوفٍ شفوقٍ على ابنٍ صغيرٍ بارٍّ عظَّم اللّه شأنَه بهذه الرّؤيا، وسيكون له شأنٌ عظيمٌ ونبوّةٌ وسلطانٌ يسودُ بهما النّاسَ، بخلاف دلالة الإدغامِ الذي فيه شدّةٌ في النُّطق.

إضافةً إلى أنّ تَكرارَ نُطْق الصّادِ بإظهارِ الإدْغامِ وهو حرفٌ صفيرٍ واستعلاءٍ مطبَقٍ، فيه زيادةُ تفخيمٍ يفيدُ بأنّ ما ينصحُ به يعقوبُ، وينهى عنه أمرٌ له خطورتُه.

وبهذا كلِّه يكونُ في إظهار الإدغام تأكيدٌ للنّهي عن قصّ الرّؤيا على إخوته، يقول البقاعيّ: "وأكّدَ النّهيَ بإظهار الإدغام"[1].

دَلالةُ التّعبيرِ بالرّؤيا:

التّعبيرُ بقوله: ﴿رُءۡيَاكَ﴾ تصريحٌ بأنّها رُؤيا مناميّةٌ، وأمّا في الآية الّتي قبلها فلم يكنْ تصريحًا، وإنّما فُهم من كونِ الشّمسِ والقمر والنّجوم، لا يكونُ لها في الحياةِ سجودُ انحناءٍ، وهنا صرّح بلفظ الرّؤيا دونَ الرّؤية؛ لأنّ الأخيرةَ هي رؤيةُ اليقَظة؛ إذ فعلُ المُفردتَين واحدٌ وهو (رأى)، ولكنّ المصدرَ فيهما يختلفُ باختلافِ حالِ الرّائي؛ فرؤيتكَ وأنتَ يقظانُ، يُقالُ عنها (رؤية)؛ ورؤيتُك وأنتَ نائمٌ، يُقال عنها (رؤيا) ويتّفق هذان المصدران بأنّ كليهما مؤنّثٌ؛ أَخذتِ الرّؤيةُ الّتي في اليقظة تاءَ التّأنيث، وأخذتِ الرّؤيا التي في النّوم ألفَ التّأنيث[2].

رؤيـا يـوسُـفَ، رؤيا حقٍّ وصِدْقٍ مـنَ الـلـه، لا أضغـاثُ أحـلامٍ منَ الشَّيطان

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/17.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/252، والشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 11/6849.

وأمّا سرُّ التّعبير بالرّؤيا المناميّة دون الحُلُم: لأنّ الرّؤيا حالةٌ شريفةٌ، ومنزلةٌ رفيعةٌ، قال ﷺ: «لم يَبْقَ بعدي منَ المبشّراتِ إلّا الرّؤيا الصّالحةُ الصّادقةُ يراها الرّجلُ الصّالحُ أو تُرى له»[1]، وقال: «أصدَقُكُم رؤيا، أصدَقُكم حديثاً»[2]، وحكمَ ﷺ بأنّها جزءٌ من ستّةٍ وأربعين جُزءًا منَ النّبوّة[3]، وقد ورد كذلك أنّ الرّؤيا الصّادقةَ منَ اللّه، وأنّها منَ النّبوّة، قال ﷺ: «الرّؤيا منَ اللّه والحُلُمُ منَ الشّيطان»[4]، أي تُضاف الرّؤيا إلى اللّه إضافةَ تشريفٍ[5].

فائدةُ إضافةِ الرّؤيا إلى ضميرِ المخاطَبِ ﴿رُءْيَاكَ﴾:

تشريفُ يوسفَ تَنبّؤٌ بعُلُوِّ شأنِه، وفيه طَمْأنَةٌ لقلْبِه

أضافَ البيانُ الإلهيّ، مُفردةَ الرّؤيا إلى ضمير المخاطَب (الكاف)، في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾؛ لتكون تنبيهًا ليوسفَ عليه السلام بعُلُوِّ شأنه، وليتذكَّرَها كلَّما حلَّتْ به ضائقةٌ، فتَطمئِنَّ بها نَفسُه أنَّ عاقبتَه طَيِّبةٌ، وهكذا إذا أراد اللّه أمرًا منَ الأمورِ العِظام قدَّمَ بين يديه مُقدِّمةً؛ تَوطئةً له، وتسهيلًا لأمرِه، واستعدادًا لِما يَرِدُ على العبدِ منَ المشاقِّ؛ لُطفًا بعبده، وإحسانًا إليه، وقد كانت هذه الرُّؤيا مُقدِّمةً لِما وصَلَ إليه يوسفُ عليه السلام منَ الارتفاعِ في الدُّنيا والآخرة[6].

نُكتةُ التّصريحِ بـ ﴿إِخْوَتِكَ﴾ وإضافتِهم إليه:

أهميّةُ الأخوّةِ ومتانتُه راجعٌ إلى ما يترتّبُ عليها من حقوقٍ وواجباتٍ

صرّح يعقوبُ عليه السلام لابنه بلفْظِ الأخوّة، وأضافَهم إليه ﴿إِخْوَتِكَ﴾؛ لأمور:

الأوّلُ: تحذيرًا له لِما يعلمُ من صفاءِ سريرةِ يوسفَ وحُسنِ ظنِّه وحبِّهِ لإخوتِه؛ إذ إنّ ذلك قد يدفعُه إلى أنْ يأمنَ جانبَ إخوتِه،

(1) رواه مالك في الموطأ، كتاب الرؤيا، باب: ما جاء في الرؤيا، وهو في مسند أحمد، الحديث رقم: (22688).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه في أوائل كتاب الرؤيا، الحديث رقم: (2263).

(3) أخرجه البخاري، الصحيح الجامع، باب رؤيا الصالحين، الحديث رقم: (2562، 6582)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، الحديث رقم: (2263).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/124، والحديث رواه البخاري في الجامع الصحيح، الحديث رقم: (5747، 7005)، ومسلم في الجامع الصحيح، الحديث رقم: (2261).

(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/373.

(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/208، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 393.

ويحدّثَهم بهذه الرّؤية؛ ويعقوبُ يعلمُ أنّهم لم يكونوا مأمونين على يوسُفَ، وأنّ لهم القُدرةَ على تأويلِ تلك الرّؤيا، ولا بُدَّ حينئذٍ أنْ يَكيدوا له كيدًا يُصيبُه بمكروه، فهم قد أصابهمُ الضّيقُ من يوسفَ وهو ما زال طفلًا، فكيف سيكونُ حالُهم إنْ عَلِموا مثلَ هذه الرّؤيا التّي سيسجدُ له فيها الأبُ والأمّ مع الإخوة؟[1]، أي سيكونُ الرّئيسَ الشّريفَ عليهم.

الثّاني: ثقةً من يعقوبَ ﷺ بيوسفَ بأنّ هذا التّحذيرَ لا يثيرُ في نفسهِ كَرَاهَةً لإِخوَتِهِ؛ لأَنَّهُ وَثِقَ مِنهُ بكمالِ العقل، وصفاءِ السَّريرةِ، ومكارمِ الخُلق، ومن كان حالُه هكذا كانَ سَمْحًا، عاذرًا، مُعرِضًا عنِ الزلّات، عالمًا بِأَثَرِ الصَّبرِ في رفعَةِ الشَّأْنِ، ولذلك قال لإخوته فيما بعد ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف: 90] وقال: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾ [يوسف: 92][2].

الثّالث: الإشارةُ من خلالِ التّعريف بالإضافة إلى ضرورةِ بقاءِ العلاقةِ بينه وبين إخوته متينةً قويّةً، فهم أبناءُ يعقوبَ، وما يصيبُهم من ضيقٍ بسببِ عُلُوّ عاطفة الأب تجاه يوسُفَ هو منَ الأغيار التي تصيبُ البشرَ الذين يقَعون تحت وسوسةِ الشّيطان، فهم ليسوا أشرارًا بالسَّليقة؛ لأنَّ الشّرِّيرَ بالسَّليقة تتصاعدُ لديه حوادثُ السّوءِ، أما الخيِّرُ فتتنزَّلُ عنده حوادثُ السّوءِ كما كان حالُهم إذ بدأوا في التّفكير بانتقامٍ كبيرٍ من يوسفَ ﴿ٱقۡتُلُواْ﴾ ثمّ هَبطوا عن هذه الدّرجة فقالوا ﴿أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾ ثمّ تردّدوا؛ واستَبْدلوا ذلك بإلقائه في الجُبِّ، فقالوا: ﴿وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾[3]، ولذلك عقّب يعقوبُ كلامَه، بقَولِه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[4].

دَلالةُ الفاءِ، وموقعُ جملةِ ﴿فَيَكِيدُواْ﴾:

(الفاء) في ﴿فَيَكِيدُواْ﴾ فاءُ السّببيّة، تدلُّ على أنَّ ما قبلَها (وهو القصص) سببٌ لِما بعدَها، وهو الكيدُ[5]، وقولُه: ﴿فَيَكِيدُواْ﴾ منصوبٌ في جوابِ النّهي، وهو في تقديرِ شرطٍ وجزاءٍ، ولذلك قدَّره الزّمخشريُّ بقوله: (إنْ قصصتها عليهم كادوك)، وهذا فيه توكيدُ

(1) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 11/6849.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/214.
(3) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 11/6851 - 6852.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/214.
(5) رشيد رضا، تفسير المنار: 7/3799.

إخفاءِ النّعمةِ منعًا للحسدِ[1]، وبذلك كان هذا الجوابُ بيانًا لسببِ نهْيِه عن قصّ الرّؤيا على إخوته.

في توكيدِ إخْفاءِ النّعمةِ، حمايةٌ ليوسُفَ من كيدٍ يَنزغُه الشّيطانُ في إخوتِه

نُكتةُ إيثارِ ﴿فَيَكِيدُواْ﴾:

الكيدُ: احتيالٌ مستورٌ لِمَنْ لا تقوَى على مُجابهتِه، ولا يكيدُ إلَّا الضّعيفُ؛ لأنَّ القويَّ يقدِرُ على المواجهةِ[2]، وفي التّعبيرِ به ﴿فَيَكِيدُواْ﴾ دونَ التّعبيرِ بالإساءة، فلَمْ يقُلْ: (فيُسيئوا) حِكَمٌ: **أوّلُها**: أنّ يعقوبَ ﷺ لجأَ إلى التّعريض دونَ التّصريحِ، وإلى طرفٍ منَ المُلامحةِ، لئلّا يَفجأَ حسَّ يوسفَ بما عليه إخوتُه من إضمارِ السّوءِ له مع الحسد والبغضاءِ[3].

التّعبيرُ بالكيدِ، فيه مراعاةٌ لحسِّ يوسُفَ، وزيادةُ تحذيرٍ له

ثانيها: الإشارةُ إلى أنّ إخوةَ يوسفَ كانوا منَ الذّكاء ما يمنعُهم من إظهار الإساءةِ لأخيهم، فكيف يقول: فيسيئوا؟![4].

ثالثها: الإشارةُ إلى أنّ يعقوبَ ﷺ أرادَ أن يُطَمْئِنَ يوسُفَ بالإشارةِ إلى ضعفِهم؛ لأنَّ الكيدَ لا يكون إلّا منَ الضّعيف، وأراد مع ذلك أنْ يُحذّرَه في الوقت ذاتِه؛ إذ في الكيدِ تخطيطٌ بخفاءٍ لإيقاع الضّررِ، كما أنّه أكّدَه بالمفعول المطلق بقوله: ﴿كَيْدًا﴾؛ زيادةً في تحذيرِه.

نُكتةُ إسنادِ الكيدِ إلى ضميرِ الجماعةِ ﴿فَيَكِيدُواْ﴾:

الكيدُ ليوسفَ، دفعَ الإخوةَ للاجتماعِ على فعْلِ المَحظورِ

والمرادُ - بإخوته - هاهنا على ما قيل: الإخوةُ الّذين يَخشى غوائلَهم ومكائدَهم من بني علّاته الأحد عشرَ[5]، وبنيامين - وإن لم يكن ممّن تُخشى غوائلُه - من باب الاحتياطِ وسدِّ باب الاحتمالِ، ومّما ذاع: كلُّ سرٍّ جاوزَ الاثنين شاعَ، ويلتزمُ القولُ بوقوع السّجودِ منه كسائر أهلِه، وإسنادُ الكيد الى الإخوة باعتبارِ الغالبِ[6].

(1) السّمين الحلبيّ، الدّر المصون: 6/439.
(2) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 11/6853.
(3) نديم فاضل، التّضمين النّحويّ في القرآن الكريم: 2/193.
(4) نديم فاضل، التّضمين النّحويّ في القرآن الكريم: 2/193.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/375.
(6) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/375.

فائدةُ تعدية فعل الكيد باللام:

الـكـيـدُ خـطـيرٌ ومُـدمّـرٌ، ولكنّ لُطفَ الله جعلَه ليوسفَ لا عليْه

عبّرَ البيانُ القرآنيُّ باللّام في ﴿لَكَ﴾، فقال: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾، ولم يقل: (فيَكيدوك كيدًا)، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥﴾ [الطارق: 15][1]؛ لأنَّ هذا الأسلوبَ وهو التّعديةُ باللام آكَدُ من أنْ يُقالَ: (فيَكيدوك كيدًا)؛ إذ ليس فيه دَلالةٌ على كَونِ نَفسِ الفعلِ مقصودَ الإيقاعِ ليوسف[2]، أي قدْ جاءتِ اللّامُ لِتَأكيدِ صِلةِ الفعلِ بِمَفعُولِهِ، كقَولِهِ: شَكَرتُ لَكَ النُّعْمى[3]، وعلى هذا تكونُ اللّام في ﴿لَكَ﴾ للاختصاص، والمعنى: فيوقعوا لكَ كيدًا يخصُّك[4].

وقد يكونُ جِيءَ باللّام لِتَضمينِه معنى الاحتيالِ المُتعدِّي باللّام؛ لِيُفيدَ معنى المُضمَّنِ والمضمَّنِ فيه للتَّأكيدِ، أي: فيَحتالوا لك ولإهلاكِك حيلةً وكيدًا[5]، ويرى أبو حيّانَ أنّ التّضمينَ أبلغُ لدلالتِهِ على معنى الفعلَيْن الاحتيالِ والكيدِ[6].

وفي التّعدية باللّام، إشارةٌ إلى أنّ هذا من نَضْحِ نبوّةِ يعقوبَ عليه السلام على لسانه؛ لأنّ هناك فارقًا بين العبارتَين، فقول: (يكيدوك)، يعني أنّ الشّرَّ المستورَ الّذي يدبّرونه ضدّكَ، سوف يصيبُك بأذًى، أمّا ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ﴾ فتعني أنّ كيدَهم الّذي أرادوا به إلحاق الشّرّ بكَ سيكونُ لحسابك، ويأتي بالخيرِ لك، ولذلك نجدُ قولَ الحقّ في موقعٍ آخرَ بالسّورة نفسِها: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: 76]، أي: كدنا لصالحِه[7].

(1) يحتمل هذا الفعلُ أنْ يكون من باب شكرتُ زيدًا، وشكرتُ لزيد، يُنظر: أبو حيّان، البحر المحيط: 6/239.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/253.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/213.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/17.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/253.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/239.
(7) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 11/6854.

ويرى بعضُ المفسّرين أنّ اللّام للتّوكيد، كزيادتها، في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف: 43]، وكقوله: ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف: 154][1]، وكقوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: 72] وقد ضعّفه السّمينُ الحلبيُّ[2].

فائدةُ التّعبيرِ بالمفعولِ المطلَقِ ﴿كَيْدًا﴾:

أكّد البيانُ القرآنيُّ فعلَ الكيدِ من إخوةِ يوسفَ في قوله تعالى: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ بالمفعول المُطلق، أي جاء المفعولُ المطلقُ ﴿كَيْدًا﴾ هنا مؤكِّدًا لعامله ﴿فَيَكِيدُواْ﴾، والتّوكيدُ في المفعول المطلَقِ بمنزلة تكريرِ الفعل، ولذا لا يجوزُ حذفُه؛ لأنّ الحذفَ منافٍ للتأكيد[3]، والمقامُ مقامُ تأكيدٍ، وقرّره بالتّعليل بعدَه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[4]، وفائدةُ هذا التّوكيد هنا المبالَغةُ[5] في بيان خطورةِ هذا الكيدِ المتينِ القويِّ الذي لا تقدرُ على التّوقّي منه، الخَفيِّ عن فهمك الذي لا تستطيعُ التّصدّيَ له[6]، وقصْدًا من يعقوبَ لنجاةِ ابنِه مِن أضرارٍ تَلحَقُهُ[7].

فـي التّوكيد مبالغةٌ في بيانِ خطورةِ كيدٍ يَنزغُه الشّيطانُ، ويَرعاهُ بعداوتِه للإنسانِ

نُكتةُ تنكيرِ: ﴿كَيْدًا﴾:

قولُه تعالى: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾، وفيه نكّرَ البيانُ الإلهيُّ لفظَ ﴿كَيْدًا﴾؛ للتّعظيمِ والتّهويلِ، زيادةً في تحذيرِه مِن قَصِّ الرُّؤيا عليهم[8]، والمعنى: فيكيدوا لك كيدًا " متينًا راسخًا لا تقدرُ على التّفصّي عنه، أو خفيًّا عن فهمك لا تتصدّى لمدافعتِه، وهذا أوفقُ بمقام التّحذيرِ"[9].

كيدُ إخوةِ يوسفَ، كيدٌ قويٌّ خفيٌّ، لا يَقدرُ على التّوقّي منه ولا التّصدّي له

(1) النّعلبيّ، الكشف والبيان: 5/198، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/122.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرُّ المصون: 6/439.
(3) ابن السّراج، الأصول في النّحو: 1/160، وابن مالك، شرح الكافية: 2/657.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/375.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 6/239.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/253.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/213.
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/213.
(9) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/253.

نُكتةُ الفصْلِ في: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾:

في الاستئنافِ البيانيّ، بيانٌ لِلسَّببِ النَّفسيِّ، لهذا الكيدِ، وهو وَسوَسَةُ الشّيطَانِ

فَصَلَ البيانُ القرآنيُّ جملةَ ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ عن التي قبْلَها ﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾، ولم يأتِ بينهما بعاطفٍ؛ لوقوع قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ استئنافًا بيانيًّا، لِما بين الجُملتَين من شبْهِ كمالِ الاتّصال؛ كأنَّ يوسُفَ عليه السلام – بعد أنّ أمَره يعقوبُ بألّا يقصصَ الرّؤيا على إخوته خوفًا عليه من كيدهم – قال: كيف يصدرُ ذلك عن إخوتي النّاشئين في بيت النُّبوّة؟ فقال له يعقوبُ: إنّ الشّيطان يحمِلُهم على ذلك[1].

وغرَضُ هذا الاستئناف هو تعليلُ النَّهي عن قَصِّ الرُّؤيا على إخوتِه، وبيانُ السّببِ النَّفسيِّ لهذا الكيد[2]؛ لأنّ عداوَةَ الشَّيطانِ لجنسِ الإنسانِ تحمِلُه على أنْ يَدْفَعَهم إلى إضرارِ بعضِهم ببعضٍ[3]. وقد أرشدَ يعقوبُ يوسفَ إلى هذا فقال في نهايةِ القصّة: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ [يوسف: 100][4].

الحضور المكثّف لصِيغ التّوكيدِ:

عداوةُ الشَّيطانِ للإنسانِ، عداوةٌ ماكرةٌ، وهي ثابتةٌ راسخةٌ ظاهرةٌ

اشتملَ قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ على عدّة مؤكِّدات؛ إذ فيها ﴿إِنَّ﴾ التي تفيدُ توكيدَ الخبرِ، وهو عداوةُ الشّيطان، والتَّوكيدُ بالجُملةِ الاسميّةِ، التي تَدلُّ على الثّباتِ، فهي عداوةٌ ثابتةٌ لا تزول، والتَّوكيدُ بالاستئنافِ البيانيِّ في الجملة الذي يقتضي تأكيدَ الحُكم[5]، وهو تعليلُ النَّهي عن قَصِّ الرُّؤيا على إخوتِه، وبيانُ السّببِ النَّفسيِّ لهذا الكيد، والتَّوكيدُ بالصّفة ﴿مُّبِينٞ﴾؛ إذ إنّها وَصفتِ المنعوتَ ﴿عَدُوّٞ﴾ بما يقوّي معناه ويؤكّدُه؛ فهي عداوةٌ ظاهرةٌ لا شكّ فيها،

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/253.
(2) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/210.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/213.
(4) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 12/115.
(5) الخطيب القزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة: 3/122.

والتوَّكيدُ بتقديم ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾ على الخبر ﴿عَدُوٌّ﴾. ومن ثَمَّ يكونُ يعقوبُ ﷺ، قدْ أكّد نهيَه ليوسُفَ عن أنْ يقصَّ رؤياه على إخوتِه بأصنافِ التَّأكيدِ المذكورةِ، مبالغةً في إثباتِ عداوةِ الشَّيطانِ للإنسان، وأنَّها عداوةٌ كاملةٌ تامّةٌ ثابتةٌ، تشملُ كلَّ النّواحي، ولا تحتاجُ إلى برهانٍ، أو دليلٍ.

معنى (الْ) في لفظِ ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾:

عداوةُ الشّيطانِ لجنسِ الإنسان، بدأتْ مع عداوتِهِ لآدمَ ﷺ

(أَلْ) التّعريف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ جنسيّةٌ؛ تفيدُ العمومَ، أي تشملُ كلَّ إنسان، والمعنى: إنّ الشَّيطان عدوٌّ مبينٌ لجنس الإنسانِ أي لكلِّ إنسانٍ؛ لآدم وذرِّيّتِه من بعده، ولقد أقسمَ الشّيطانُ أنْ يُغويَ جنسَ الإنسان، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر: 39]، وقد حذّر اللّه النّاسَ جميعًا (آدم وذرِّيّتَه) من عداوة الشّيطانِ، فقال سُبحانه: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: 117]، وقال: ﴿۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس: 60].

فائدةُ الوصفِ بـ ﴿مُّبِينٌ﴾ في السّياق:

وصفٌ يؤكّدُ ظهورَ عداوةِ الشّيطانِ للإنسان ووُضوحَها

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، وفيه يصفُ الحقُّ سُبحانه عداوةَ الشّيطان للإنسان مؤكِّدًا عداوتَه بأنّها عداوةٌ مُبينةٌ ظاهرةٌ لا تخفَى على أحدٍ منَ النّاس؛ أيْ: بيّنةٌ ومعروفةٌ لكلّ فردٍ؛ لِمَا فعل بآدم ﷺ وحوَّاءَ، ولأنّه خرجَ منَ الجنّة ملعونًا مطرودًا؛ وقد أقسمَ بعزّة اللّه لَيُغْوِينَّ ذرِّيّةَ آدم، فلا يألُو جهدًا في التّسويل لهم، وإثارةِ الحسد فيهم حتى يحملَهم على الكيد[1]، محيطًا بالإنسان من كلّ جانب، وهذا يدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ﴾ [الأعراف: 17][2].

(1) البيضاويّ، أنوار التنّزيل وأسرار التّأويل: 3/155.
(2) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 12/7705.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الابنُ والولدُ:

بينَ الابنِ والأبِ تأليفٌ واتّصالٌ واختصاصٌ، وبينَ الولدِ والوالدِ نسبٌ حقيقيٌّ موصولٌ

يتقاربُ لفظَا (الابن) و(الولد) إلى درجةِ التّرادُفِ، ولا يكادُ يُفرَّقُ بينَهما في الاستعمال، إلَّا أنّ هناك مَن جعلَ بينهما فروقًا في اللّغة كما فعل العسكريُّ، فقد ذكر عدّةَ فروق، وهي:

أنّ الابنَ يفيدُ الاختصاصَ، ومداومةَ الصّحبة، ولهذا يُقال: ابْنُ الفلاة لمن يداومُ سلوكَها، وتقولُ تبنّيت ابنًا: إذا جعلتَه خاصًّا بك، كما أنّه يجوزُ أنْ يُقال: إنّ قولَنا هو ابنُ فلانٍ يقتضي أنّه منسوبٌ إلى أبيه، ولهذا يُقال: النّاسُ بنو آدمَ؛ لأنّهم منسوبون إليه.

أصلُ الابنِ التّأليفُ والاتّصالُ من قَوْلك بنيةٌ، وهو مَبْنِيّ وأَصلُه بني، وقيل: بَنو، ولهذا جُمع على أَبنَاء، فكأنّ بين الأَب والابْن تأليفًا.

والولدُ يقتضي الولادةَ، ولا يقتضيها الابنُ، ولا يُسمّى الإنسانُ والدًا إلَّا إذا صار له ولدٌ، وليس هو مثلَ الأب؛ لأنّهم يقولون في التّكنيةِ أبو فلان وإنْ لم يَلدْ فلانًا، ولا يقولون في هذا: والدُ فلان[1].

بالإضافة إلى أنّ هناك فروقًا أخرى بين الابن والولد، ومنها: أنّ الابن يُطلقُ على الذّكَر، في حينِ أنَّ الولدَ يُطلقُ على الذّكَر والأنثى[2].

وأصلُ مادّته من (بنى)؛ وسُمّي بذلك؛ لكونه بناءً للأب، فإنّ الأب هو الذي بناهُ وجعله اللّه بناءً في إيجاده[3]، أي: لا يُشترطُ في الابن أنْ يكون من نسلِ الأبِ، فقد يكونُ ابنًا بالتّبنّي ويسمّى ابنًا.

في حين أنَّ الولد منَ الولادة، ومن أمثال العرب: (وُلْدُكِ مَنْ دَمَّى عَقِبَيْكِ) أي من نُفِسْتِ به، فهو ابنُكِ حقيقةً لا مَن اتَّخَذْتِه وتَبَنَّيْتِه وهو مِن غيرِكِ[4].

(1) العسكريّ، الفروق اللغّويّة، ص: 281 - 282.
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (ولد).
(3) الرّاغب، المفردات: (بنى).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (ولد).

القصُّ والحَكْي:

القـصُّ روايـةُ أحـداثِ القصّةِ مُـتـتـابـعـةً، والحَكْيُ روايتُها مُـشـابـهـةً لصورتها الأُولى

يتقاربُ لفظا (القصّ، والحَكْي) فكلاهما فيه معنى الإخبار ونقلِ الكلام، وروايةُ الحدَث على وجهه، إلَّا أنّ بينهما فرقًا يميّزُ كلّ لفظٍ عنِ الآخر، وتظهرُ هذه الفروقُ عند التّدقيقِ في معاني اللّفظَين في المعاجم اللّغويّة: القصّ: أصلُ (قصّ) يدلّ على تتبّعِ الشّيء[1]، فالقَصُّ: تَتَبُّعُ الأَثَرِ، وفعلُ القاصّ إذا قصَّ القصصَ يُسمّى قصًّا؛ وذلك لاتّباعه خبرًا بعد خبر[2]، ويُقال: قصّ عليه القصّةَ: رواها، وقصّ عليه الخبر قصًّا وقصصًا: أعلمهُ به، وأوردهُ على وجهِه، والقاصُّ: مَنْ يأتي بالقصّةِ على وجهها، كأنّه يتتبّعُ معانيَها وألفاظَها، والقِصّةُ: الخبرُ ذو الأمورِ المتتالية[3].

وأصلُ (حكى) يدلُّ على إحكام الشّيء بعقدٍ أو تقريرٍ، يُقال: حَكَيْتُ الشَّيءَ أَحْكيه، وذلك أنْ تفعلَ مثل فعلِ الأوَّلِ[4]، وحَكَيْتُ عنه الكلام حِكايةً، وحَكَيْتُ فِعْلَهُ وحاكَيْتُهُ إذا فعلتَ مثلَ فعلِه وهيئته، أي أتى بمثلِه وشابهه، والمحاكاة: المُشابهة، والحِكاية: ما يُحكى ويُقصّ وقع أو تُخيِّل[5]، وحَكَيْتُ عنه الكلام حِكايةً: نقلتُه[6]، والحِكاية: هي إيرادُ اللّفظِ على استيفاءِ صورتِه الأولى، وتساهلَ قومٌ في إطلاقِ لفظِ الحكاية بمعنى الإخبار[7].

إذن: يتميّز القصُّ بمعنى التّتبّع، فالذي يقصُّ القصّةَ يتتبّعُ أحداثَها المُتتاليةَ وألفاظَها ومعانيَها؛ ليرويَها متتاليةً متتابعةً كما حدثت.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قص).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (قصص).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قصص).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حكى).
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (حكى).
(6) الزّبيديّ، تاج العروس: (حكى).
(7) الكفويّ، الكليّات، ص: 406.

في حينِ يتميّزُ الحكيُ بمعنى المحاكاة أي المُشابهة، فالذي يحكي القصّةَ يحرصُ أنْ يأتيَ بها على وجهٍ يشابهُها في صورتها الأُولى.

"وحكاياتُ القرآن عنِ الغيرِ إنّما هو مُعربٌ عن معانيهم، وليس بحقيقةِ ألفاظِهم، فلا يُقال كلامُ اللّه محكيٌّ، ولا يُقال أيضًا: حكى اللّه كذا، إذ ليس لكلامه مثلٌ"[1]، ولهذا أسندَ سبحانه القصّ إلى ذاتِه فقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ﴾ [يوسف: 3]، ولم يقل: (نحكي).

الرّؤيةُ والرّؤيا:

الـرّؤيـةُ النّـظـرُ بالعينِ والقلبِ، والـرّؤيا ما يـراهُ النّائمُ في منامِه

يتقاربُ لفظا (الرّؤية، الرّؤيا)، فكلاهما مصدرٌ لفعلِ (رأى)، إلّا أنّ الفرقَ بينَهما هو أنّ الرّؤية: هي النّظرُ بالعينِ والقلبِ، والرّؤيةُ بالعين تتعدّى إلى مفعولٍ واحدٍ، والرّؤيةُ العلميّةُ (أي بالقلب) تتعدّى إلى مفعولين[2].

في حين أنّ الرّؤيا: ما رأيتَه في منامك، تقولُ: رأيتُ رؤيا حسنةً[3]، والرّؤيا تتعدّى إلى مفعولٍ واحدٍ.

(1) الكفويّ، الكلّيات، ص: 409.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (رأى).
(3) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (رأي).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»